الخطاب الصحافي اللبناني حول التطورات الاجتماعية، الاقتصادية لحرب الخليج الثانية في العراق والكويت. من ١ كانون الثاني وحتى ٣٠ حزيران ١٩٩١.

سلام بدر الدين

تتبدى قيمة هذا البحث والرغبة في العمل على موضوع الخليج من خلال الإعلام اللبناني المكتوب، حين نعي أهمية الدور والإرادة الإعلاميين لهذه الحرب ولكافة الحروب الأخرى السابقة واللاحقة بأنواعها وتصنيفاتها الكثيرة من: حروب باردة أو عسكرية، حروب مواجهة أو حروب اقتصادية، معارك ثقافية كالحاصل في فرنسا اليوم ضد ما تعتبره الحكومة الفرنسية أمركة وخرق للأصالة واللغة الفرنسيين.

ونتطرق في بحثنا هذا للإعلام السياسي تحديداً لرصد التطورات الاجتماعية الاقتصادية لحرب الخليج عبر فترة حُدِّدت بـ ٦ شهور، وهي مرحلة الصراع العسكري، أبانه، خلاله وما تلاه بقليل من خلال عملية رصد للخبر والرأي في كل من الصحف الثلاث: «النهار»، «السفير» و«الحياة» معتبرين أننا نقارن هنا بين ثلاثة تيارات إعلامية مكتوبة ومختلفة بما تمثله كل منها من توجه وخط ومرجعية مفترضين التالي:

ـ إن الإرتباطات التمويلية والسياسية للصحيفة أثّرت على أدائها الصحافي في تغطية موضوع تطورات حرب الخليج اقتصادياً واجتماعياً. وقدَّرنا بداية إن هذا الأداء يغطي الخبر، الرأي والتحقيق. وواجهنا في تحضيرنا لهذا البحث مشكلتين أساسيتين هما:

١ ـ سيطرة الإعلام الغربي سيطرة تامة ـ كمصدر للخبر ـ على كافة الشبكات الإعلامية المحلية والعربية.

٢ ـ طغيان المسألة السياسية نظرياً والإعلامية إجرائياً ومبدئياً على رصد واستخلاص النتائج المرجوة من هذا البحث وهي النتائج الإجتماعية والاقتصادية.

إذن فقد افترضنا سلفاً خطاباً مستقلاً لكل من هذه الصحف مع وعينا التام بوحدانية المصدر الإعلامي على الأقل تبعاً لوكالات الأنباء الأجنبية وقدراتها في امكانية الحصول على الخبر،

الوجود في مكان الحدث وطريقة التعميم والنشر علماً بأن هذا الإعلام أي الإعلام الغربي كان بحد ذاته موضع توجيه ورقابة في تلك الفترة. وبغض النظر عن كونه تقريباً وبالفطرة موجّه من الأساس لاعتبارات سياسية تاريخية واجتماعية. ونصطدم هنا بسؤال يتهيأ لنا من خلاله تشكّل عقبة أولية وهامة في تطبيق صحة الفرضية وهو: كيف افترضنا اختلاف الأداء ومصدر الخبر واحد؟ أي كيف يكون من الممكن أن يختلف طعم مياهٍ في عدة أوعية غرفت من نبع واحد؟ وكان هذا كافياً في الظاهر لصرف النظر عن الفرضية كونها لاغية أساساً ضمن هذا الإطار، ولولا إيماننا الراسخ بنقطتين أساسيتين هما:

أولاً: إنه ليس من الضروري أن تتأكد صحة الفرضية في جميع الأبحاث والدراسات، لأن نقض الفرضية هو في حد ذاته نتيجة ونتيجة مبنية لا على التخمين والتصور الأولي، بل على دراسة بالأرقام والنسب واستخلاص نتائج تحول التخمين إلى إجابة مؤكّدة ومبنيّة على أُسس علمية ومنهجية.

ثانياً: إنه رغم جميع المؤشرات التي تؤكد سيطرة الخبر العالمي أو الأجنبي على الصحافة المحلية والعربية، كان لدى الباحث ظناً أراد أن يحوّله إلى يقين في إثباته إن توجه الصحيفة بالتزاماتها السياسية والتمويلية، لا بد أن يعثر على قنوات يتبدى من خلالها لخدمة أهداف الجهات الداعمة والممولة مما يحقق الإختلاف والتباين في وجهات النظر.

وبناءً على ذلك حاولنا في هذه الدراسة ايضاح تلك القنوات التي تميز اختلاف التوجهات من خلال عملية مقارنة للخبر ورصد نسبة اختلافه وحجمه وتحليل للرأي في الصحف الثلاث المعنية وذلك على مراحل كالتالي:

القسم الأول:

١ ـ ما قبل الضربة الجوية من ١ كانون الثاني وحتى ١٧ منه.

٢ ـ مرحلة الضربة الجوية من ١٨ وحتى انتهائها.

القسم الثاني: الحملة البرية.

القسم الثالث: ما بعد الحملة البرية.

١ ـ وقف الحرب.

٢ ـ بدء الحرب الأهلية في العراق.

علماً أن طريقة التقسيم وجدولتها كانت دائماً بشكل نصف شهري أي من ١ إلى ١٥ من الشهر ومن ١٦ إلى ٣٠ منه. ولم يشذ عن هذه القاعدة سوى شهر كانون الثاني (يناير) بسبب

بدء الضربة الجوية في ١٧ منه ولتأثير ذلك على نسبة تزايد الخبر عن المرحلة التي ما قبلها ولو شكل هذا الفرق يوماً صحافياً وإخبارياً فقط.

أما الرأي فقد أتبعنا في تحقيق مادته بالأسلوب نفسه، وقد تبيّن أن الرأي شكل خرقاً نسبياً وموحداً للفرضية في الصحف الثلاث وهذا ما بينته مراحل الدراسة، رغم كون صحيفة «الحياة» لبنانية بامتيازها أصلاً ومتحولة تالياً إلى صحيفة عربية بانتقال امتيازها إلى المجال العربي ـ الخليجي تحديداً .. لذلك، والتزاماً منا بمنهج وحدود الدراسة «الخطاب الصحافي اللبناني» لم نعتمد في تحليل الرأي فيها سوى على اراء الصحافيين اللبنانيين العاملين في «الحياة» والذين ما زالوا يشكلون نسبة كبيرة من الصحافيين العاملين فيها. وقد خصّص الباحث للمادة التي شكلت الرأي الفصل الثاني من الدراسة على طريقة العرض، التحليل، المقارنة في محاولة لسبر أغوار الإجابة أي إن الرأي والقائلين به رغم ارتباطاتهم العملية والتحويلية لم يكن باستطاعتهم الخروج من الإطار الزمني والتاريخي الذي شكل خلفيتهم الأساسية فكرياً وثقافياً. هذا الإرتباط الذي شكّل ربما، نوع من التّحدي لذواتهم الحقيقية، الأصلية أو المهنية. أنها إشكالية البحث التي تُرجمت بالمدى الفكري المرحلي الذي استطاع فيه الخطاب الصحافي اللبناني أن يتحرر من الإرتباط وأن يحافظ على سنده الفكري الأساسي وهو السند القومي. وهنا وجب علينا شرح الفرق بين الخطاب الإعلامي والأداء الإعلامي المجرد، خاصة أن الرأي بمجمله قد صبّ في **همّ قومي واحد** تجلى في عبارات رفض هيمنة الغرب والتفتت العربي والترحيب بأي مبادرة عربية جامعة. وفي **مسلك قومي** تبدى في عداوة العبارة في تحليل المواقف التي رافقت المعركة وما تلاها في حرب الخليج وذلك في الصحف الثلاث على اختلاف ميولها؛ رغم أن صحيفة «الحياة» مرت بمرحلةٍ ـ ما قبل الضربة الجوية ـ عملت فيها على تبرير الإستعانة بالآخر وحاولت تلميع صورته السلبية تاريخياً تمهيداً لإقناع الشارع العربي بقبوله كحليف عادل ينصر المظلوم ويحقق العدل.

وكان لزاماً علينا العمل على تحويل اصطلاح المفهوم القومي من مفهوم سياسي عام وادخاله في تأثيره على المسار الإجتماعي الإقتصادي للبحث، أي تحويله إلى نوع من المفهوم الإجتماعي لخدمة هدف الدراسة.

أما «التحقيق» فقد اتضحت مشكلته بالنسبة لمنهجية الدراسة من حيث تفاوت نسبته وحجمه حسب امكانات الصحيفة والتي كان أقدرها على القيام به صحيفة «الحياة» لتوفر عدد كبير من عامليها ومراسليها في مناطق مختلفة في الداخل والخارج العربي وقدرتها على التغطية المادية، العامل الذي لم يكن متوفراً نسبياً للصحيفتين الأخريين، مما اضطر الباحث إلى عدم اعتماد التحقيق كمادة أساسية للبحث وإلغائه من عملية الإحصاء والجدولة رغم الاستعانة ببعض التحقيقات الواردة في «الحياة» أو في الصحف الأخرى ـ على ندرتها ـ ومصدرها وكالات أجنبية وذلك لضرورات الدراسة.

إذن، فقد تكونت الدراسة من مقدمة؛ تناولت:

١ ـ الوعي بأهمية الإدارة والدور الإعلاميين لحرب الخليج الثانية.

٢ ـ شرح الفرضية.

٣ ـ المراحل التي مرت بها الدراسة أو خلاصة البحث وشرح المنهج: طريقة العمل، مشكلات ومعطيات.

ثم عملية تقديم لأدوات البحث ـ الصحف الثلاث من ١ كانون الثاني إلى ٣٠ حزيران بهذه الطريقة:

الخبر	الرأي	التحقيق
ـ التشابه والإختلاف	ـ عرض	//
ـ حجم الخبر ونسبته	ـ تحليل	//
ـ إبرازه أو اخفائه	ـ تصنيف ومقارنه	//

وذلك في رصد للخبر وقراءة للنسب والأرقام عن طريق جداول أساسية نصف شهرية مصنفة اقتصادية واجتماعية. وجداول مساعدة لتبيان نسبة الخبر العربي إلى المصدر العالمي وتأثير ذلك على موضوع البحث وعلاقته به.

الفصل الأول:

* تمهيد: الخلفية الجيوسياسية والاجتماعية للخليج العربي.

القسم الأول: مقارنة بين الصحف الثلاث في التطورات من خلال الخبر اجتماعياً واقتصادياً:

١ ـ ما قبل الضربة الجوية.

٢ ـ خلال الضربة الجوية.

القسم الثاني: الحملة البرية.

القسم الثالث: ما بعد المرحلة البرية:

١ ـ وقف الحرب.

٢ ـ بدء الحرب الأهلية.

الفصل الثاني:

الرأي: نفس طريقة التحقيب للخبر في: عرض، تحليل، مقارنة وتصنيف.

خلاصة البحث: تساؤل ذاتي يفتح باب الإحتمالات على شتى المستويات من خلال دواعي خرق الفرضية وأسباب الحصول أو التوصل إلى نتيجة معينة.